وإذا كانت قد حاولت كبح جماح المبدع بالنسبة للنص فقد أطلقت العنان للقارئ في تفسير النص ، وتحقيق المعنى، مما أدى إلى فوضى التفسير ، وذلك مما جعل نظرية نقدية أخرى هي نظرية التلقي تضع من الضوابط ما حاولت به كبح جماح القارئ فاعتدت بأفق هذا القارئ الذي تشكله ثقافته وبيئته وهو يواجه به النص، كما اعتبرت أفق هذا القارئ جزءا من أفق الجماعة المفسرة التي ينتمي إليها القارئ ، وذلك كوسيلة للتقريب بين مواجهات القراء للنص، لكن يظل إطلاق العنان للقارئ في مواجهة النص على هذا النحو سبيلا لفوضى التفسير والتأويل ، وهو ما يجب أن ينأى عنه أي خطاب بصفة عامة، والخطاب الديني بصفة خاصة ، ذلك الخطاب الذي تسهم في تشكيله الملابسات والظروف وكذلك علاقته بالمبدع والمتلقي.

إذن أين يكون التجديد ؟ إن التجديد واسع فسيح الأرجاء .. في فهمنا نحن ، وتصوراتنا نحن ، ورؤيتنا نحن تجاه هذه الثوابت ، ولنا أسوة حسنة في اختلاف الفقهاء الأئمة ابن حنبل وأبي حنيفة والشافعي ومالك ؛ مع الفارق الكبير والبون الشاسع بين توجهاتهم ، وما يمكن أن نقوم به نحن ، فهم برغم اختلافهم ، فقد كان اختلافهم رحمة ، ولم يخرجوا على هذه الثوابت ، ومن ثم فعدم الخروج على الثوابت يجب أن يكون سياجاً لخطابنا ، وألا نسمح للمسكوت عنه أن يتجاوز هذه الثوابت ، أو يتعارض معها ، مهما تعددت مجالات خطابنا الديني ، وتباينت توجهاته .

إن مجال الأحكام الشرعية ثوابت قد ضبطها الفقهاء الأئمة ، في ضوء مصادر التشريع الإسلامي ، ويبقى لنا مجال فسيح في العلاقات الاجتماعية ، والأخلاق ، وعلاقة الحاكم بالمحكوم ، وما يحقق مصلحة الأمة ، .. إلى غير ذلك ، من أصغر الأمور كإماطة الأذى عن الطريق ... إلى أعظمها وهو الجهاد .

هنا يأتي دور الأدب الإسلامي ونهجه في التعبير عن هموم الأمة وآمالها ، إذ يصبح من أنسب الوسائل التعبيرية للكشف عن تجديد الخطاب ، لأن الأدب الإسلامي يوظف الكلمة الجميلة المعبرة في التعبير عن قضايا الأمة مع استرفاده لملاحقة المتغيرات ، وكل هذا وفق التصور الإسلامي ، دون سلطوية أو هيمنة مزعومة .

وبذلك يلبي احتياجات الأمة ، ويشبع رغباتها ومتطلباتها في الخير والحق والعدل ، وهي تتعامل مع أمسها وحاضرها ومستقبلها . ■

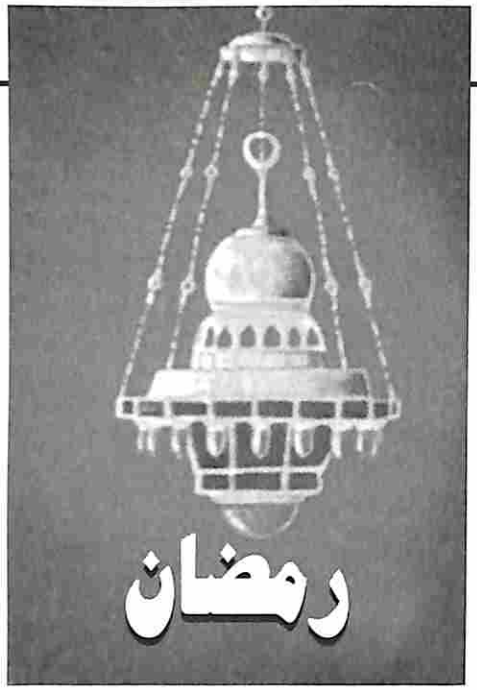

شعر: محمد عبد القادر الفقي
مصر

تعاطيتُ شهد الصوم، لم أخش لائماً
وكان غذائي الحمدَ في رمضانِ

وأسلمت وجهي للذي حبه الغنى
وحُبُّ سواه الفقرُ في الإيمانِ

يقول فؤادي: ليس من صام مفطراً
كمن ذاق تمر الوجد والإذعانِ

وما يستوي البحران: هذا أجاجه
معاصٍ، وهذا عنبُه رياني

فإن كنت في خير الشهور مجاهداً
فليس طريقُ العبد في الحرمانِ

ولكنها تقوى الحبيب وآية
تسير بها نوراً إلى الريانِ

وما الدنى للفتى غير لحظةٍ
هي الخوف من فطر على النيرانِ